مجلة المفكر
EISSN: 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد الخامس/ العـدد: الأوّل (شوال 1442هـ/جوان 2021م) ص 381– 398

الأوضاع العامة بالبلاد التونسية خلال الحرب العالمية الثانية 1939–1945

The general situation in Tunisia during the Second World War 1939-1945

د. سكينة عصامي
-جامعة صفاقس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجمهورية التونسية
Dr soukeyna.issami . Faculté des lettres et sciences humaines. Université de sfax
La republique tunisienne
soukeyna.issami@yahoo.com

المؤلف المرسل: د. سكينة عصامي. ***soukeyna.issami*** الإيميل: ***soukeyna.issami@yahoo.com***

تاريخ الاستلام:.2020/08/31 تاريخ القبول:.2021/05/17

ملخص:

مثلت تونس ساحة المعارك بين المحور والحلفاء من نوفمبر 1942 إلى ماي 1943، كما كان للحرب العالمية الثانية تأثيرا عاما السلطات الاستعمارية وعلى الأوضاع بالبلاد التونسية فساهمت في انتعاش العمل الوطني. ونتيجة ضغط الحلفاء على السلط الفرنسية لتليين سياستها تجاه الوطنيين، فقدت فرنسا إشعاعها ونفوذها في تونس. من جهة أخرى فقد ألحقت عمليات الحلفاء أضرار جسيمة بالبلاد التونسية وتدهور مستوى العيش للسكان والتجأت فرنسا إلى سياسة الترويع والتشفي بتهمة التعاون مع المحور.

وعند اعتلاء المنصف باي الحكم عمل على إحياء السلطة التونسية مستغلا الضعف الفرنسي لإثبات السيادة التونسية، وقد رفض الباي التعامل مع المحور رغم الإغراءات المقدمة واتخذ موقفا محايدا. إلا أن سياسته لم تحجب فرنسا التي عمدت إلى عزله ونفيه، أما الحركة الوطنية خلال هذه الفترة فقد عرفت تغييرا في سياستها فبعد أحداث 9 أفريل 1938، فخرج العمل الوطني من السرية إلى العلن وذلك بتأسيس

عدة جمعيات كما عملت الحركة المنصفية على بلورة برنامج يقوم على المطالبة بالحكم الذاتي وإقامة نظام ملكي دستوري.

وبذلك فقد اعتبرت هذه الفترة هامة في تاريخ الحركة الحركة الوطنية التونسية نتيجة تظافر عدة ظروف داخلية وخارجية استغلتها الحركة لمحاصرة النظام الاستعماري، كما شرعت قيادة الحزب الدستوري الجديد في البحث عن التأييد الخارجي للقضية الوطنية وفي استغلال الظروف العالمية الجديدة.

كلمات مفتاحية:تونس، الحرب العالمية الثانية، الحركة الوطنية التونسية، الاستعمار الفرنسي،الامبرالية الغربية

Abstrqct :

Tunisia represented the battlefield between the axis and allies from November 1942 to May 1943, and the Second World War had a general effect on the colonial authorities and the conditions in the Tunisian country, which contributed to the revival of the national action. As a result of the pressures exerted on the French authority to soften its policy toward the patriots, France lost its radiation and influence in Tunisia. On the other hand, the allies' operations caused great damages in the Tunisian country and the deterioration of the living standard of the citizens and France's actions to be a policy of intimidation and reproduciation on the charge of cooperation with the axis.

At the time of Moncef bey he worked on reviving the Tunisian authority, taking into consideration the French weakness to prove the Tunisian sovereignty, and the bey refused to deal with the axis despite the offered temptations and took a neutral position. However, his policy did not obscure France, which isolated and exile him, and the national movement during this period witnessed a change in its policy after 9 April 1938 events. The national action emerged from secrecy to public through the establishment of several associations and the Al-Monsofiya movement worked to develop a program based on the demand for autonomy and establishment of a constitutional monarchy.

This period was thus considered important in the history of the Tunisian national movement as a result of the conquest of several internal and external conditions that the movement exploited to besiege the colonial regime, and the leadership of the new constitutional party began to seek outside support for the national cause and to exploit new global conditions.

Keywords:

Tunisia, World War II, the Tunisian national movement, French colonialism, Western imperialism

1- مقدمة

عاشت تونس بين 1939-1945 على وقع الحرب العالمية الثانية وتحولت إلى ساحة للمعارك بين قوات الحلفاء وقوات المحور وذلك بين نوفمبر 1924 وماي 1942 وسمي بـ "حملة تونس"، وقد نشأت عن الحرب ظرفية تونسية دولية معقدة طرحت على التونسيين خيارات صعبة. تأثرت البلاد التونسية في مختلف مجالاتها بالأحداث الواقعة على أراضيها فتعرضت حقولها ومبانيها إلى التدمير جراء العمليات العسكرية من جهة وتصعيد الاستبداد الاستعماري من جهة أخرى، لكن هذه الحرب بتداعياتها لم تحط من عزيمة الشعب التونسي للمطالبة بحقوقه وبالحرية والاستقلال.

فما هي خصائص هذه الظرفية وتداعياتها على تونس؟

وكيف ساهمت في تنامي النضال الوطني ؟

2-المجتمع والاقتصاد التونسي أثناء الحرب العامية الثانية

ان دراسة عناصر المجتمع التونسي وشبكة علاقاته الاجتماعية، وما ارتبط بها من عملية اقتصادية في الفترة موضوع البحث، يساهم مساهمة كبيرة في تحديد الصورة الحضارية للبلاد التونسية في فترة حساسية من تاريخها.

2-1 المجتمع

بين سنة 1936-1946 بلغت الزيادة في عدد السكان 25% حيث ارتفع العدد إلى 2.920.000 نسمة[1]. هذا وقد شهد المجتمع التونسي على إثر الأزمة الاقتصادية حركة نزوح كبيرة خاصة خلال العشرية 1936-1946، سلبت مدن الساحل والجنوب من سكانها، فقد هاجر 50500 شخصا من قيادة سوسة إلى مناطق أخرى، وشهدت القصرين نزوح 18500 شخصا. وفقد مجال القيروان والقصرين على التوالي 18900 و14500 شخصا[2]، فقد تدفق عدد كبير من السكان إلى تونس العاصمة وضواحيها مما أدى إلى تضاعف عدد سكانها مرتين وتراوح معدل النمو بين 1078و 1000 خلال العشرية المذكورة[3].

الجدول 1: توزع السكان وتزايد النسب حسب الأقاليم خلال العشرية 1936-1946

المناطق	السكان غير الأوروبيون/ ألف ساكن			الزيادة	
	1926	1936	1945	1936-1926	1945-1936
منطقة تونس	410	500	858	%22	%72
المنطقة الزراعية بالشمال	482	556	671	%16	%21
المنطقة البحرية بالساحل	413	508	576	%23	%13
منطقة الوسط	301	365	482	%21	%11
منطقة الجنوب	381	466	404	%22	%3
المجموع	1,987	2,395	2,991	%104	%120

وكذلك الشأن بالنسبة لبنزرت والوطن القبلي حيث استقر بها النازحين من السباسب والساحل والجنوب مما أدى إلى ارتفاع السكان بنسبة 50% هذا وقد ارتفع عدد السكان المسلمين في المدن إلى 240.000 بين 1936و 1945 وأرجع بعض الباحثون هذا الارتفاع إلى تنامي الشعور الوطني[4]، استأثرت العاصمة تونس بأكبر عدد من النازحين فبين 1936 و1946 بلغ عددهم 100.000 نسمة[5] وفي أحواز العاصمة تراوح عدد السكان بين 60 و70 ألف ساكن[6].

2-2 ا لاقتصاد

أبطأت الحرب تقدم الزراعة الاستعمارية وتضرّر منها كبار الفلاحين التونسيين نتيجة لنقص الوقود والمعدات الفلاحية والأسمدة الشيء الذي كان له تأثير كبير على الإنتاج الزراعي فتضررت خاصة زراعة الحبوب حيث تراجع إنتاج القمح اللين ليبلغ سنة 1941 23 قنطارا[7]، ومنذ بداية الحرب وقع تقنين زيت الزيتون وقد سجّل الإنتاج مردودا عاديا خلال سنة 1941 لكنه لم يكن مثل المردود المسجّل سنة 1940، وعموما كان الزيتون كافيا للاحتياجات الداخلية كذلك الشأن بالنسبة للحصص المخصصّة للتصدير، فقد كان مخزون زيت الزيتون وفير إلى حد أن السكان طلبوا تقييد هذا الإنتاج ورغم ذلك فقد بقي المخزون تحت تصرف حكومة فيشي التي قامت باحتكاره لحاجيات المتروبول أو استعماله كسلعة تجارية دولية[8].

تسببت الحرب العالمية الثانية في إلحاق أضرار عميقة بالفلاحة التونسية خاصة الإنتاج الزراعي نظرا إلى الافتقار إلى الوقود والآلات الزراعية والأسمدة والمبيدات الحشرية، فلجأ العديد من الرأسماليين إلى استعمال أدوات الإنتاج التقليدية والخماسة[9]. هذا وقد ساهمت العمليات الحربية التي دارت على أراضي البلاد في عرقلة الزراعات الحبوبية نظرا إلى وجود الألغام في قرابة 8000 هكتار من الأراضي الحبوبية[10]، إضافة إلى

ذلك عرفت اليد العاملة نقصا كبيرا بسبب التجنيد الذي شمل أكثر من 40000 شخصا من الأرياف. كما ضرب الجفاف أغلب مناطق البلاد سنوات 1945-1947 وتسبب في وقوع أضخم موجة "هطايا" في تاريخ تونس منذ أواخر ستينات القرن التاسع عشر[11].

جدول 2: زراعة الحبوب في البلاد التونسية خلال الفترة 1938-1943[12]

الإنتاج بالقطار	القمح الصلب	القمح اللين	الشعير
1938	2000	1800	100
1939	2900	2060	300
1940	1100	1400	100
1941	2000	2100	1300
1942	2100	1700	1000
1943	1300	720	1800

بالنسبة للقطاع الحرفي، فقد عرف صغار الحرفيين والتجار المتوسطين في سنوات الحرب العالمية الثانية 1939-1945 فترة انتعاش، فقد انخفض الإنتاج بسبب المجهود الحربي وتعذر استيراد المنتوجات الصناعية كما ارتفعت الأسعار التموينية وانقطع تصدير رؤوس الأموال الفرنسية نحو تونس والتحق عدد لا يستهان به من التجار والصناعيين لفرنسيين إلى الجبهات، وقد استفاد العديد من الحرفيين من هده الأوضاع بتوفير السلع التي توقف توريدها بل واستطاعوا بالاعتماد على الوسائل التقليدية ملء الفراغ الذي نشأ عن استيراد السلع الفرنسية[13].

لكن مع نهاية الحرب عادت البضائع الفرنسية إلى غزو الأسواق من جديد وقد تظافرت عدة عوامل ساهمت في تأزم حياة الحرفيين الصغار، ومن هذه العوامل نذكر ارتفاع أسعار مواد الإعاشة ونقص المواد الأولية التي يحتاجها الحرفيين مثل القطن والحرير وكساد نشاط النساجين نظرا لإغراق السوق التونسية بفواضل الملابس العسكرية، أيضا الزيادة في كراء المحلات التجارية وارتفاع الضرائب وظهور ضرائب جديدة[14].

إضافة إلى ذلك فإن الحرب التي دارت بالتراب التونسي أدت إلى تدمير عدد كبير من الآلات والمنشآت الزراعية شمال البلاد[15]. أما الغراسات ومنها غراسات الكروم قد تضررت من الأزمة الاقتصادية

وانتشار الفلوكسيرا الذي أدى إلى تراجع المساحات المزروعة التي كانت تمتد على مساحة 51000 ألف فأصبحت 30000 ألف هكتار سنة 1944[16]. وطرحت بشدة مسألة التموين نتيجة تقلص حركة الواردات وتراجع الإنتاج الفلاحي والصناعي مما اضطر السلطات الاستعمارية إلى تقسيم المواد الأساسية التي ارتفعت أسعارها وانتشرت السوق السوداء وتدهور مستوى العيش لغالبية السكان:

الجدول 3: ارتفاع أسعار المواد الغذائية بالبلاد التونسية خلال الحرب العالمية الثانية[17]

المادة	القسط الفردي الشهري	السعر القانوني	السعر في السوق السوداء
الخبز	250 غرام	5.20 فرنك/ 1كغ	35 إلى 50 فرنك/ 1كغ
اللحم	-	77-85 فرنك/ 1كغ	125 إلى 200 فرنك/ 1كغ
السكر	300 غرام	9 فرنك/ 1كغ	40 إلى 50 فرنك/ 1كغ
الزيت	نصف لتر	28-33 فرنك/ 1ل	70إلى 80 فرنك / 1ل
الشاي	20 غرام	85 فرنك/ 1كغ	1200 إلى 1500 فرنك/ 1كغ
قهوة مخلوطة بالشعير	200 غرام	19.80 فرنك/ 1كغ	120.90 فرنك/ 1كغ

جدول4: مقارنة وتطوّر الأسعار الرسمية وأسعار السوق السوداء خلال حملة 1943[18]

المواد الأساسية	الأسعار الرسمية المطبقة سنة 1943	أسعار السوق السوداء	الفارق بين الأسعار الرسمية وأسعار السوق السوداء
الخبز (1كلغ)	4,40 فرنك	من 20 إلى 60 فرنك	من 454 إلى 1360%
زيت الزيتون	30,15 فرنك	من30 إلى 52 فرنك386	%172
البيض (12 بيضة)	40 فرنك	من 100 إلى 120 فرنك	من 250 إلى 300%
اللحم (فخذ الخروف 1كلغ)	29,90 فرنك	من 100إلى 120 فرنك	من 335 إلى 400%
الدجاج (قطع)	40,37 فرنك	200 فرنك	534 فرنك
البطاطس	14,40 فرنك		
الدقيق (1كلغ)	4,90 فرنك	من 50إلى 85 فرنك	من 1002إلى 1734%
السميد	5,35 فرنك	من 60 إلى 90 فرنك	من 1121إلى 1682%
السكر	8,45 فرنك	320 فرنك	%3786
العجين (1كلغ)	6,90 فرنك	90 فرنك	%1304
التمور		من 20 إلى 40 فرنك	

ايضا تدهرت المقدرة الشرائية للسكان جراء هذا الارتفاع فطالبوا بتتبع المضاربين وجاء في التقارير الفرنسية: "تأسف الأهالي من الارتفاع الغير عادي لأسعار بعض المنتوجات الأساسية مثل الزيت، النفط، الفحم وطالبوا الحكومة الاستعمارية باتخاذ الإجراءات ضد المضاربين"[19].

على خلاف ذلك فقد عرفت الصناعات التقليدية أثناء الحرب العالمية الثانية أزهى فتراتها فالتعطيل الذي حصل في العلاقات التجارية بين الإيالة التونسية وفرنسا أدى إلى حصول نقص كبير في المواد المصنعة وقد مكّن ذلك الحرفيين من التحكم في السوق الداخلية التي كانت تغزوها المنتوجات الأجنبية. كما عرف قطاع الصناعات التقليدية نموا كبيرا فازدادت المرابيح وتحسنت أوضاع الحرفيين وبخصوص هذا الشأن ذكر جاك ريفو مدير ديوان الفنون في مقدمة مجلة "تونس" الصادرة في جانفي 1942 والمخصصة للصناعات التقليدية أن مختلف أنشطة الصناعات التقليدية التونسية *"قد أظهرت قدرتها على دعم الوجود الاقتصادي للبلاد التونسية التي اضطرت إلى الاكتفاء الذاتي"*[20]. تكثف نشاط الحرف خلال هذه الفترة بنسق لم تشهده منذ عقود، فعرف الناسجون، البلاغجية، صانعوا الاحذية، البرانسية، الحرف الخاصة بالنساء والمنزل، الحدادة والنجارة فترة ازدهار مميزة. إضافة إلى كل هذا لم تمنع صعوبة استيراد المواد الأولية التطور السريع الذي يعرفه قطاع الصناعات التقليدية، فقد عمد الحرفيين إلى استعمال كل ما يجدونه من مواد أولية على عين المكان مثل الصوف والجلود والخشب[21]...

لكن بنهاية الحرب استأنفت العلاقات الطبيعية فأدى ذلك إلى وضع حد لهذا النمو في القطاع وعادت الوضع إلى ما كان عليه قبل الحرب وأغلقت السوق الداخلية أمام المنتوجات التونسية إثر نهاية الحرب العالمية لتدفق الفوائض الأمريكية والملابس العسكرية. كما منيت المحاولات التي قام بها محمد شنيق لأحداث صناعة النسيج أثناء الحرب بالفشل وغزت المنتوجات الفرنسية والأجنبية السوق التونسية[22].

بصفة عامة فقد تأثر قطاع الصناعات التقليدية بالظرفية الجديدة ورغم استئناف حركة التصدير نشاطها، فإن ذلك لم يحد من توريد البضائع المقلدة وذلك بكميات كبيرة ففي سنة 1945 أصبح حجم الواردات يمثل عشرة أضعاف حجم الصادرات، ويذكر أنه في سنة 1943 عرفت الصادرات التونسية أدنى قيمة لها فقد بلغت 93 مليونا مقابل 484 للواردات[23].

من جهة أخرى فقد كانت التجارة في تونس خلال ظرفية الحرب محدّدة في بعض المبادلات مع المستعمرات الفرنسية والمتروبول، ورغم ذلك فإن الميزان التجاري في تونس بقي ملائما، فقد كانت تونس

تصدر إلى فرنسا كميات كبيرة من المنتوجات الأولية الضرورية مثل الحبوب، زيت الزيتون، الخضر ،الغلال الخمور، الخامات والحلفاء[24].

أما حركة الموانئ الثلاثة تونس، سوسة وصفاقس فقد بينت أن حمولة السفن الشراعية كانت تتجه إلى الموانئ الفرنسية خاصة مرسيليا وتولون، وفي سنة 1941 قدمت سفينة واحدة من إيطاليا محملة بالكبريت[25]. بصفة عامة فقد تأثرت التجارة بانعدام الأمن في البلاد إضافة إلى القصف المتواصل للمدن والقرى الذي عرقل مسار التنقل، فقد قامت العمليات العسكرية بتقسيم البلاد إلى جزأين واحدة يسيطر عليها المحور والأخرى الحلفاء وعليه فإن العلاقات التجارية بين تونس والمتروبول قد أصبحت متقطعة.

3-الحملة على تونس وسياسة التسلط الاستعماري

3-1 الحملة على تونس

كانت تونس إحدى الساحات الكبرى لأحداث الحرب العالمية الثانية وذلك لمدة أربع سنوات ولحقتها أضرار كبيرة من جراء العمليات العسكرية التي دارت في العديد من جهات البلاد[26]، كما قامت فرنسا بتجنيد أكثر من أربعين شخصا بين سنتي 1943-1945 وإرغام الآلاف على العمل في الحظائر الإجبارية التابعة للجيوش الفرنسية وجيوش المحور[27]. وتحولت البلاد التونسية منذ نوفمبر 1942 وطيلة ستة أشهر إلى مسرح للمعارك بين المحور والحلفاء، ففي 8 نوفمبر 1942 تم في إطار عملية "تورش" إنزال القوات الحليفة في كل من الجزائر والمغرب وذلك لتطهير شمال إفريقيا من المحور وفتح جبهة جنوبية باتجاه أوروبا لاختراق "القلعة النازية". وردت قوات المحور الفعل بعملية إنزال عسكرية في تونس للتصدي لجيوش الحلفاء التي كانت تتقدم انطلاقا من الجزائر باتجاه البلاد التونسية. وأخذت قوات المحور بقيادة رومل في التقهقر من ليبيا أمام تقدم الجيش الثامن الأنقليزي بقيادة منتغمري، وقد تمكنت القوات

الخريطة رقم 1: الحملة على تونس

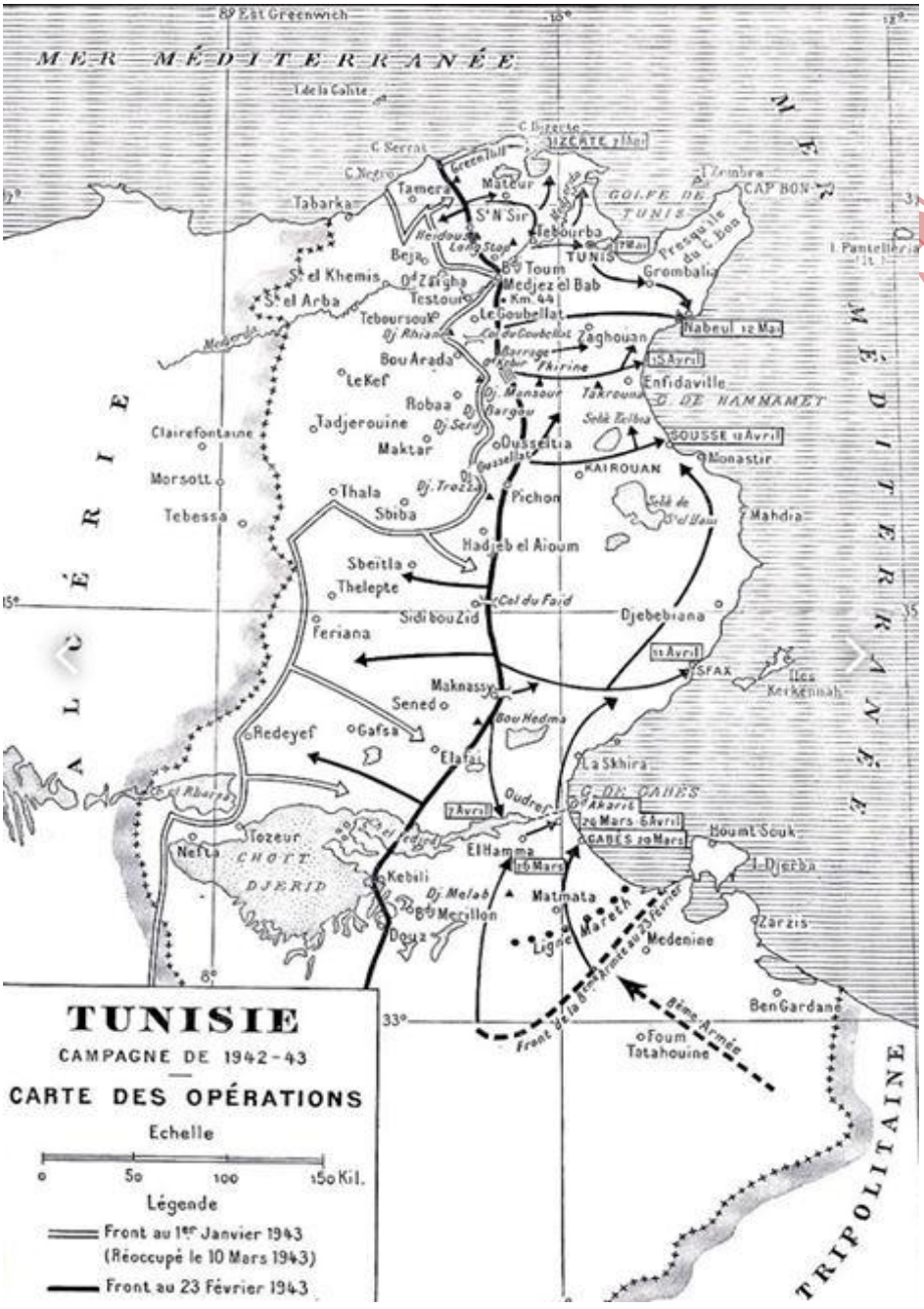

الحليفة من اختراق الجبهة الألمانية الممتدة على طول خط مارث وإجبارها على الاستسلام بجهة الوطن القبلي في 12 ماي 1943.

ألحقت الحرب أضرارا جسيمة بالبلاد التونسية فقد سقط العديد من الضحايا في صفوف السكان المدنيين، كما أدت عمليات القصف إلى تدمير المباني والجسور والطرقات وتشريد مالا يقل عن 120000 شخص، ومن جملة هذه الخسائر الناجمة عن القصف للبنية الأساسية نذكر:

- 1300 كلم من الطرقات.
- 120 جسرا.
- 16800 مبنى سكني و500 مبنى إداري.
- 80% من المنشآت المرفئية التبعة لمينائي سوسة وصفاقس.
- 530 كلم من الأسلاك الكهربائية.
- 1520 من الأسلاك الهاتفية.
- 15% من التجهيزات التبعة للسكك الحديدية.
- 180 شاحنة[28]

3–2.التسلط الاستعماري

"انتصبت الحملة الفرنسية المصاحبة لجيوش الحلفاء في كل بلد من بلدان المملكة تقبض على الناس وتفتش منازلهم وتلهب جلودهم بالسياط...وكثيرا ما كانوا يضعون...مضاغط حديدية في أصابعهم كل ذلك لإلزامهم باعترافات على أنفسهم وعلى غيرهم بأنهم خدموا الألمان، ولقد أطلقوا الرصاص على جماعات في ساحات السجون وتحت أسوار المدن وقتلوهم دون تحقيق يثبت جريمة أو حكم من القانون...ولا تسأل عن انتهاك الحرمات وانتهاب الأرزاق وامتلاء السجون والمعتقلات...بالقوم وأشرف الأمة...وما يلاقونه صباحا مساء من التنكيل والتعذيب..."[29]

بادرت السلط الاستعمارية منذ بداية الحرب العالمية إلى إعلان الأحكام العرفية وإلغاء الحريات العامة وتضييق الخناق على النشاط الوطني من خلال تشديد الرقابة على الصحف وتعطيلها مثل "تونس الفتاة" و"الزهرة"... كما تم نقل الزعماء الدستوريين المعتقلين إلى سجن نيكولا بمرسيليا، وإيقاف القيادات

الدستورية التي تشكلت بين 1938و1941 اعتقادا منها أن الوضع سيهدأ[30] وبذلك فقد انتصبت المحاكم العسكرية لردع كل التجاوزات ذات الطابع السياسي[31].

بعد توقيع الهدنة مع دول المحور واحتلال ثلثي أراضيها قبلت فرنسا تركيز لجان ألمانية وإيطالية في المستعمرات لمراقبة التحركات العسكرية والنشاط الاقتصادي في هذه المناطق، ولئن تعاونت حكومة "فشي" مع المحور كوّن "دي قول" "القوات الفرنسية الحرة" ودعا إلى مواصلة الكفاح ضد المحور. هذا الانكسار والانقسام بين الفرنسيين أفقد فرنسا جانبا كبيرا من إشعاعها الدولي ونفوذها داخل المستعمرات وتزامن ذلك مع تكثف الدعاية المحورية ضد الاستعمار الفرنسي وممارساته التعسفية ضد الأهالي فتم إطلاق سراح الدستوريون المسجونين بفرنسا وتونس والسماح لهم بمواصلة نشاطهم السياسي.

اضطرت فرنسا بعد طرد المحور من تونس إلى تعديل سياستها القمعية تحت تأثير حلفائها خاصة الأمريكيين الذين تدخلوا لإيقاف التتبعات ضد بعض زعماء الحركة الوطنية، كما تم إطلاق سراح بعض الدستوريين المعتقلين بالسجون الجزائرية وأغلقت المحتشدات في خريف 1943 كما عادت بعض الصحف إلى الصدور مثل "النهضة" و"الزهرة".

4– الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية

4–1 .انتعاش العمل الوطني

شكلت الحرب العالمية الثانية منعرجا هاما في تاريخ الحركة الوطنية وقد حاولت العناصر الدستورية التي لم تشملها الاعتقالات توظيف الظرفية الجديدة لصالحها فقامت بتكوين الدواوين السياسية السرية فظهر الديوان السياسي الخامس في أواخر 1939[32]، هذا إضافة إلى ظهور لجنة المقاومة التي كانت مهمتها تخريب السكك الحديدية والمواصلات الهاتفية وحرق أمتعة الاستعماريين وتلغيم القناطر[33]. كما عملت على إرسال بلاغات إلى إذاعة برلين لكسر الحصار الاستعماري والتعريف بأعمال المقاومة[34].

بعد أن تولى الحبيب ثامر قيادة الحزب الدستوري أسس المكتب السياسي السادس وأعاد تنظيم خلايا الحزب، وتزامنت هذه الخطى مع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا وفي الأثناء عينت حكومة فيشي Vichy مقيما عاما عسكريا جديدا في تونس وهو بيار إستيفا Pierre Esteva [35]. من جهة أخرى فقد أصبحت فرنسا تعاني من عدة مشاكل داخلية خاصة منها مظاهر الانقسام بين دعاة التعاون وأنصار المقاومة مما ساهم في إضعاف هيبة الدولة عند ذلك تقدّم القادة التونسيين بلائحة إلى الباي عبروا فيها عن

تذمرهم من تبعية إدارتهم المطلقة للسلطات الاستعمارية، ورغم الإجراءات الاستعمارية الصارمة فقد تم إلصاق المناشير على الجدران في العاصمة جاء في جانب من مضامينها المطالبة بإطلاق سراح الزعماء المعتقلين واستقلال البلاد[36].

أما الوفد الذي قابل الباي فقد اعتقل وزج في السجن في جانفي 1941، إلا أن الرشيد إدريس وزملائه قاموا بتسيير أمور الحزب وكوّن الديوان السياسي السابع وقام مع يوسف بن عاشور وصلاح الدين بوشوشة بتشكيل هذا الديوان بما فيه منظمة سرية تدعى اليد السوداء وهي الجناح العسكري للحزب الدستوري الجديد وذلك لضمان استمرار المقاومة[37].

4–2. المنصف باي والمصالحة بين العرش والشعب

يوم 19 جوان 1942 اعتلى المنصف باي[38] العرش في وضع دقيق وحرج حيث كان الشعب التونسي يعاني من سياسة القمع والاضطهاد المسلطة عليه منذ حوادث 9 أفريل 1938 [39]، وقد عرف المنصف بشجاعته وحبه لوطنه وخاصة تعاطفه مع زعماء الحركة الوطنية فأصبح رمزا للسيادة الوطنية ومن البداية كانت مواقفه الوطنية واضحة وفتح أبواب قصره لاستقبال الناس والنظر في مشاغلهم قام بإلغاء عادة تقبيل اليد وعوضها بالمصافحة[40]. كما أبعد الباي من بلاطه كل الموالين لسلطة الحماية وكوّن صحبة شقيقه مجلسا خاصا ضم نخبة من الوطنيين وهم الصاق الزمرلي والعزيز الجلولي ومحمود الماطري ومحمد علي العنابي[41]، كما لم يتردّد في المطالبة بالإصلاحات لفائدة الشعب التونسي.

ملك الشعب محمد المنصف باي

ونظرا للأحداث التي جدّت يوم 8 نوفمبر 1942 وجعلت البلاد التونسية مسرحا للعمليات الحربية وجد المنصف باي نفسه بين خيارين إما أن يستقبل الاحتلال الألماني الإيطالي أو أن ينتهج سياسة الحياد كما دعاه إلى ذلك روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية[42]، فقرّر الباي بعد اجتماعه بعدد من رجال البلاط التزام الصمت في رسالة وجهها إلى الرئيس الأمريكي وقد ذكر فيها: *"اعتبارا لما يتهدّد الشعب*

التونسي من تحول إلى منطقة للعمليات الحربية، وشعورا منا شعورا تاما بسيادتنا ومسؤوليتنا، نرى لزاما علينا أن نعرب لكم رسميا عن رغبتنا في بقاء هذه البلاد خارج النزاع" [43].

بادر المنصف باي في شهر أوت 1942 غلى تقديم مذكرة إلى الأمير إيستيفا Esteva ليبلغها إلى رئيس فرنسا طالب فيها القيام بإصلاحات واشتملت غلى بعض رغبات الشعب التونسي منها ضرورة إدارة التونسيين لبلادهم والإشراف على شؤون حياتهم في كل المجالات وإلغاء اتفاقية المرسى[44]. إضافة إلى إنشاء مجلس تشريعي استشاري وعودة المراقبين المدنيين إلى وضعيتهم القانونية الأصلية واكتفاؤهم بدور المراقبة وجعل التعليم إجباري لكل التونسيين[45]، إضافة إلى هذا قام الباي بتحقيق المساواة بين الأجور بين التونسيين والفرنسيين وإطلاق سراح الوطنيين في تونس وفرنسا ومنح الحرية للأحزاب والمنظمات السياسية علاوة على إصدار الصحف الأهلية وتشكيل أول حكومة وطنية وهي حكومة محمد شنيق التي أقدمت على القيام بجملة من الإجراءات الإصلاحية مثل تمكين الموظفين التونسيين من الثلث الاستعماري الذين كان حكرا على الموظفين الفرنسيين وكذلك إلغاء أمر 30 جانفي 1896 القاضي بتمكين المعمرين الفرنسيين من الإستحواذ على أراضي الأوقاف[46].

دخلت قوات الحلفاء المنتصرة إلى تونس العاصمة يوم 7 ماي 1943 وفي يوم 13 ماي طلب جوان من المنصف باي التنازل عن العرش لكنه رفض، فتم خلعه في اليوم الموالي طبقا لمرسوم صادر عن الجنرال جيرو وذلك "*باعتبار أن وجود سمو باي تونس على العرش في الظروف الحالية من شأنه أن يثير بعض المشاكل في سبيل استتاب الأمن الداخلي والخارجي بالإيالة* " [47]. وقد ذكر محي الدين القليبي في حديثه عن عزل المنصف باي: " *كانت التهمة التي ألصقت به هي تعاونه مع جيوش المحور أثناء احتلالها للقطر التونسي، إلا أن التحقيقات التي أجريت من طرف الفرنسيين والحلفاء أثبتت عدم وجود هذا التعاون...والحقيقة أن الاستعماريين الفرنسيين نقموا على جلالته استنكاره لسياسة ابتلاع الذاتية التونسية من طرف الفرنسيين...وكان جزاؤه عندهم...إزالته عن العرش*" [48].

تأثر الشعب التونسي شديد التأثر لعزل الباي منصف ورفع العرائض يطالب بإرجاعه وأصبح المنصف باي بموافقة وطنية رمزا للسيادة التونسية وقاعدة التف حولها الوطنيون والدستوريون من الحزبين القديم والجديد، فتكونت جبهة وطنية ضمت الدستوريين من أتباع الديوان السياسي واللجنة التنفيذية والوطنيين المستقلين والزيتونيين وأعضاء المجلس الكبير وأصدقاء المنصف باي وأمراء العائلة الحسينية[49] كونوا الحركة المنصفية التي تجاوز صداها البلاد التونسية. وعملت الحركة على بلورة برنامج يقوم على المطالبة

بالحكم الذاتي وإقامة نظام ملكي دستوري كان منطلقا لقيام "الجبهة الوطنية" في 22 فيفري 1945[50] جمعت كل التيارات والقوى الوطنية التونسية، وقد عبرت مظاهرة 8 ماي 1945 بمناسبة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية على استعداد كل الفئات التونسية للانخراط في النضال الوطني.

5- الخاتمة

شهدت البلاد التونسية خلال الفترة 1939-1945 تحولات هامة شملت جميع المجالات، فقد كان للحرب العالمية الثانية ولرحاها التي دار جزء منها على الأراضي التونسية تأثير كبير على المجتمع والاقتصاد. في جانب آخر قدمت الحركة الوطنية التونسية الكثير لتحقيق مطالبها التي من أهمها الحرية والاستقلال فلم تهادن الحلفاء ولم تغير موقفها من الاستعمار الفرنسي بل ذهبت أيضا إلى اعتبار تمركز قوات المحور في الأراضي التونسية استعمارا لا يختلف على نظيره الفرنسي. ومع سقوط فرنسا تحت الاحتلال الألماني تكثف النشاط الوطني خاصة مع تولي المنصف باي زمام الحكم، ولم يمنع عزله ونفيه مواصلة التحركات بل زادها نشاطا وحماسا على المستوى الداخلي والخارجي للمضي إلى غاية تحقيق الاستقلال التام للبلاد.

6- قائمة المصادر والمراجع

- ✓ **الأرشيف الوطني التونسي**، السلسلة SG/SG2، الحافظة 94، الملف 3
- ✓ إحصائيات المصالح الإدارية بتونس، وردت بكتاب **المنصف باي الملك الشهيد**، نشر دار كاهية 1994.
- ✓ كهلان (كاظم حلمي) حمادي (سلمان حمادي)،" موقف الحركة الوطنية التونسية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1945، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، العدد الأول، آذار 2013.
- ✓ التيمومي (الهادي)، **تاريخ تونس الاجتماعي**، دار محمد علي الحامي للنشر، جانفي 2001.
- ✓ الدقي (نور الدين)، **تنظيم الحكم في تونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956**، المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1998.
- ✓ الزمرلي (الصادق)، **تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء والخيبة**، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص 54.
- ✓ الساحلي (حمادي)، "المنصف باي والحركة المنصفية (1942-1948)"، **تونس من 1939 إلى 1945 أعمال المؤتمر الرابع لتاريخ الحركة الوطنية**، نشريات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1993.
- ✓ العايدي (فتحي)، **الجيش الاستعماري والمجتمع المحلي بالبلاد التونسية 1911-1943**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2011.

- ✓ العلاني (عبد الحميد)، **لم ينامو على الذل، شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والساحل**، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس 2006.
- ✓ القصاب (أحمد)، **تاريخ تونس المعاصر**، تعريب حمادي الساحلي، الطبعة الأولى الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986.
- ✓ القليبي (محي الدين)، **مأساة عرش**، المطبعة الرسمية القاهرة 1954.
- ✓ مجموعة من المؤلفين، **تونس عبر التاريخ: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 2008.
- ✓ مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881–1964)**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2010.
- ✓ المستيري (سعيد)، **المنصف باي الحكم والمنفى**، ط 1، ترجمة هشام القروي، دار الأقواس، تونس 1991.
- ✓ وزارة الإعلام، **الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية 1938– 1943**، وثائق 8، شركة فنون النشر والرسم والصحافة، تونس 1983.
- ✓ *Annuaire statistique de la Tunisie (1940-1946), Publié par le secrétaire général de la Tunisie.*
- ✓ *Chaibi (Mohamed Lotfi), Socialiste français et nationalistes tunisiens : Histoire d'une rencontre (1945-1956), ORBIS, Tunis 1997.*
- ✓ *Cherif (Fayçal), La Tunisie dans la seconde guerre mondiale, impact et attitudes (Avril 1938 Mai1 943), Thèse de doctorat, Vol 1, Université de Paris IV Sorbonne, Mars 2001.*
- ✓ *Driss (Rachid), Reflet d'un combat, publication de l'institut supérieur d'histoire de mouvement national, Tunis 1996.*
- ✓ *Histoire générale Tunisie, l'époque contemporaine 1881-1956, tom IV, Sud édition, Tunis 2010.*
- ✓ *Lepidi (Jean), L'économie européenne depuis la fin de la guerre, Imprimerie officielle, Tunis 1955.*

7– الهوامش

[1] القصاب (أحمد)، **تاريخ تونس المعاصر 1881–1956**، تعريب حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986،ص 267

[2] *Lepidi (J.), L'économie européenne depuis la fin de la guerre, Imprimerie officielle, Tunis 1955, p 23.*

[3] *Ibidem.*

[4] القصاب **تاريخ تونس...نفس المرجع**، ص 270.

[5] **نفس المرجع**، ص 272

[6] *Histoire de la Tunisie l'époque contemporaine 1881-1956, tom IV, sud édition, Tunis 2010 , p 142.*

[7] *Ibid, p 84 et 85*

[8] *Cherif (Fayçal), La Tunisie dans la seconde guerre mondiale, impact et attitudes (Avril 1938 Mai1 943), Thèse de doctorat , Vol 1, Université de Paris IV Sorbonne, Mars 2001, p 248.*

[9] التيمومي (الهادي)، **تاريخ تونس الاجتماعي**، دار محمد علي الحامي للنشر، جانفي 2001، ص 43.

[10] **المرجع نفسه.**

[11] **المرجع نفسه.**

[12] *Annuaire statistique de la Tunisie (1940-1946), Publié par le secrétaire général de la Tunisie , p 48.*

[13] التيمومي (الهادي)، **تاريخ تونس ...نفس المرجع**، ص 100.

[14] **نفس المرجع**، ص 101.

[15] القصاب (أحمد)، **تاريخ تونس...نفس المرجع** ، ص 158.

[16] **المرجع نفسه.**

[17] إحصائيات المصالح الإدارية بتونس، وردت بكتاب **المنصف باي الملك الشهيد**، نشر دار كاهية 1994، ص 145.

[18] *Annuaire statistique...op.cit, p 136.*

[19] **الأرشيف الوطني التونسيي**، السلسلة SG/SG2، الحافظة 94، الملف 3.

[20] القصاب (أحمد)، **تاريخ تونس...نفس المرجع**، ص 225.

[21] *Histoire de la Tunisie...op.cit, p 113.*
[22] *Ibid, p 114.*
[23] *Ibid, p 136.*
[24] *Cherif (Fayçal), La Tunisie...op.cit, p 255.*
[25] *Ibid, p 255.*

[26] انظر الخريطة رقم 1، ص12 .

[27] كهلان (كاظم حلمي) حمادي (سلمان حمادي)،" موقف الحركة الوطنية التونسية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1945"، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، العدد الأول، آذار 2013، ص 54.

[28] **إحصائيات المصالح الإدارية بتونس...نفس المرجع.**

[29] القليبي (محي الدين)، **مأساة عرش**، المطبعة الرسمية القاهرة 1954، ص 80-81.

[30] مجموعة من المؤلفين، **تونس عبر التاريخ: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 2008، ص 113.

[31] العايدي (فتحي)، **الجيش الاستعماري والمجتمع المحلي بالبلاد التونسية 1911-1943**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2011، ص 488-489.

[32] مجموعة من المؤلفين، **تونس عبر التاريخ...نفس المرجع**، ص 113.

[33] العلاني (عبد الحميد)، **لم يناموا على الذل، شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والساحل**، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس 2006، ص 105.

[34] كهلان (كاظم حلمي) حمادي (سلمان حمادي)،" موقف الحركة الوطنية التونسية"...**نفس المرجع**، ص 55.

[35] الدقي (نور الدين)، **تنظيم الحكم في تونس في فترة الحماية الفرنسية 1881–1956**، المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1998، ص 205.

[36] مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881–1964)**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2010، ص 305.

[37] وزارة الإعلام، **الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية 1938– 1943**، وثائق 8، شركة فنون النشر والرسم والصحافة، تونس 1983، ص 151.

[38] انظر الصورة رقم 2، ص17.

[39] (الساحلي) حمادي، "المنصف باي والحركة المنصفية (1942-1948)"، **تونس من 1939 إلى 1945 أعمال المؤتمر الرابع لتاريخ الحركة الوطنية**، نشريات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1993، ص 194.

[40] **نفسه**، ص 195.

[41] **نفسه**، ص 195.

[42] الزمرلي (الصادق)، **تونس في عهد المنصف باي (1942–1943) بين الرجاء والخيبة**، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص 54.

[43] **نفس المصدر**، ص 58.

[44] *Driss (Rachid), Reflet d'un combat, publication de l'institut supérieur d'histoire de mouvement national , Tunis 1996, p 190.*

[45] المستيري (سعيد)، **المنصف باي الحكم والمنفى**، ط 1، ترجمة هشام القروي، دار الأقواس، تونس 1991، ص 48.

[46] (الساحلي) حمادي، "المنصف باي"...**نفس المرجع**، ص 190

[47] **نفسه**، ص 189.

[48] القليبي (محي الدين)، **مأساة عرش**...**نفس المرجع**، ص 274.

[49] (الساحلي) حمادي، "المنصف باي"...**نفس المرجع**، ص 187.

[50] *Chaibi (Mohamed Lotfi), Socialiste français et nationalistes tunisiens : Histoire d'une rencontre (1945-1956), ORBIS, Tunis 1997, p 40.*